جيل الوعد الإلهي المنشود (١)

متى يتحقق وعد الله للأمة الإسلامية

سعيد أحمد
ماجستير الفقه – جامعة الأزهر

الطبعة الإلكترونية الأولى
صفر ١٤٤٧ هـ / أغسطس ٢٠٢٥م

جيل الوعد الإلـهي المنشود (١)

متى يتحقق وعد الله للأمة الإسلامية

سعيد أحمد
ماجستير الفقه – جامعة الأزهر

الطبعة الإلكترونية الأولى
صفر ١٤٤٧ هـ / أغسطس ٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لماذا لم يتحقق وعد الله ﷻ للأمة الإسلامية، بالاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين، والأمن؟ لماذا تأخر؟ ألم يقل ﷻ:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١] .

أليس وعد الله ﷻ حق؟ أليس وعد الله ﷻ صدق؟ هل تخلى الله ﷻ عن أمة النبي ﷺ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، يجب علينا أولا أن نتأكد من أننا قد سألناه بالصيغة الصحيحة، حتى نحصل على الجواب الصحيح.

فهل صيغة هذا السؤال صحيحة؟ بمعنى آخر، هل الأجيال الحالية من الأمة الإسلامية لها الحق في أن تنتظر تحقيق هذا الوعد؟ فلما لم يتحقق سألت هذا السؤال؟

تكمن الإشكالية هنا في ظن البعض أنهم يستحقون نصرة الله ﷻ فقط لأنهم مسلمون، حتى ولو يقوموا بواجباتهم كمسلمين، تجاه: الخالق، ودينه، والأمة. فهنا يقعون في خطأ كبير، وتستعصى عليهم الإجابة عن هذا السؤال.

إن الصيغة الصحيحة التي يجب أن يُطرح بها مثل هذا السؤال هي: هل الأجيال الحالية من الأمة الإسلامية موعودة بهذا الوعد الإلهي، فمن ثم عليها الصبر، وانتظار أن يتحقق؟ أم إنها ليست موعودة به، فعليها أن تبحث عن سبب ذلك لعلاجه؟

---

[١] - سورة النور، الآية رقم: ٥٥

هذا ما يجب أن ننفتح عليه بكل شــفافية ووضـــوح، وبالتجرد الشـــديد من الأغراض والأهواء والمصالح أيا كانت، إذا كنا نريد الوصول للحق والحقيقة.

ولكي نصل لإجابة صحيحة لهذا التساؤل: هل الأجيال الحالية للأمة الإسلامية موعودة بوعد الله ﷻ بالاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين، والأمن من بعد الخوف؟ علينا أولا أن نتعرف على سبب نزول الآيات، التي حملت البشرى بهذا الوعد، ثم من الآيات نتعرف على أسباب هذا الوعد، التي من أجلها وَعَدَ الله ﷻ المؤمنين، بما وعدهم به، وشرطه الذي اشترطه ﷻ، والموانع التي قد تتلبس بها الأمة، فتمنع من تحقيق هذا الوعد، على فرض توفر أسباب وشروط هذا الوعد.

فإذا لم تتوفر في أجيال الأمة الحالية أسباب إصدار هذا الوعد الإلهي، أو لم يتحقق فيها شرطه، أو تلبست هذه الأجيال، بمانع أو أكثر من موانع تحقيق هذا الوعد؛ فإن الإجابة ستكون: إن الأجيال الحالية للأمة الإسلامية ليست موعودة بهذا الوعد الإلهي، لانعدام سببه، أو لعدم توفر شرطه، أو لوجود بعض الموانع التي تمنع تحقيقه، أو كل ذلك. فعلى الأمة أن تسير في طريق التأكد من استيفاء أسباب الوعد، والوفاء بشرطه، ثم الانتقال إلى مرحلة رفع الموانع التي قد تمنع من تحقيق هذه الوعد الإلهي.

سبب النزول

ترجع أهمية معرفة سبب نزول الآيات التي حملت البشرى بهذا الوعد للمسلمين، إلى تيسير تفسير الآيات، وفهم القصد منها؛ فأسباب النزول: " أَوْفَى مَا يَجِبُ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا، وَأَوْلَى مَا تُصْرَفُ الْعِنَايَةُ إِلَيْهَا، لِامْتِنَاعِ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَقَصْدِ سَبِيلِهَا، دُونَ الْوُقُوفِ عَلَى قِصَّتِهَا وَبَيَانِ نُزُولِهَا" [1]. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمُسَبَّب"[2].

فأسباب النزول، تكشف لنا عن الظرفين الزماني والمكاني، اللذين أُنزلت فيهما الآيات، مما يعني دقة أكثر في الفهم. كما تبين الحالة النفسية والفكرية والاجتماعية، التي كان عليها من أُنزلت عليهم الآيات[3]. يضاف إلى ذلك أنها تكشف حِكَم الشريعة وأسرارها، وتزيل الإشكالات التي قد تنشأ عند بعض الناس من فهم غير سديد[4].

ونعود إلى سبب نزول الآيات التي بشرت بوعد الله ﷻ في سورة النور، فقد رَوَى الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ :" مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ بَعْدَمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، خَائِفًا هُوَ وَأَصْحَابُهُ، يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانُوا بِهَا خَائِفِينَ، يُصْبِحُونَ فِي السِّلَاحِ وَيُمْسُونَ فِي السِّلَاحِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ :يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَأْتِي عَلَيْنَا يَوْمٌ نَأْمَنُ فِيهِ وَنَضَعُ فِيهِ السِّلَاحَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"لَنْ تَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ**

---

[1] -الواحدي، على بن أحمد بن محمد (ت٤٦٨هـ). أسباب نزول القرآن، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان. ط: دار الإصلاح – الدمام، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص: ٨.

[2] - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ). مقدمة في أصول التفسير. ط: دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان ١٤٩٠ هـ/ ١٩٨٠م. ص: ١٦.

[3] - المزيني، خالد بن سليمان. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة. ط: دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م)، ٢٠/١، ٢١.

[4] - المرجع السابق ٢٢/١.

مُحْتَبِيًا[1] **لَيْسَتْ فِيهِمْ حَدِيدَةٌ"**، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فَأَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ عَلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَوَضَعُوا السِّلَاحَ وَأَمِنُوا، ثُمَّ قَبَضَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ، فَكَانُوا آمِنِينَ كَذَلِكَ فِي إِمَارَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ ﷺ حَتَّى وَقَعُوا فِيهِ، وَكَفَرُوا النِّعْمَةَ، فَأَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفَ وَغَيَّرُوا، فَغَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَا بِهِم"[2].

فالنبي ﷺ وأصحابه ﷺ قد مكثوا في مكة عشر سنوات، يدعون إلى الله ﷻ، ويؤمنون ويعملون الصالحات، ويصبرون على أذى المشركين، يبتغون نصرة دين الله ﷻ. ثم هاجروا إلى المدينة فرارا بدينهم، وتركوا كل ما يملكون في سبيل الله ﷻ. وفي المدينة ظلوا فترة طويلة من الزمن يُصبحون ويُمسون في الدروع الحديدية، استعدادا لأي هجوم متوقع عليهم من داخل المدينة أو من خارجها. حتى نزلت الآيات بوعد الله ﷻ لهم، فخلعوا الدروع، وأمنوا.

وهم كانوا يطلبون الأمن، لكن الله ﷻ زاد عليه أن وعدهم بالاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين والشريعة فيهم، تنبيها لهم بأنه لا تأمن أمة بأس غيرها حتى تكون قوية مكينة مهيمنة على أصقاعها[3].

وهذا الوعد لم يتلقاه المسلمون بمجرد هجرتهم إلى المدينة، كما قد يُظن. فالأرجح أن هذه الآية قد نزلت في الفترة ما بين السنة الثالثة إلى الخامسة للهجرة تقريبا، بناء على الأحداث المرتبطة بها مثل حادثة الإفك، مما يعطى انطباع بأنهم ظلوا فترة حتى استكملوا ما هيأهم لتلقي هذا الوعد.

---

[1] - الاحتباء : جلوس الشخص على أَلْيَتَيه وضمَّ فَخِذَيه وساقَيه إلى بطنه بذراعيه ليستند.

[2] - أسباب نزول القرآن، ص: ٣٢٨،٣٢٧.

[3] - ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر (ت ١٣٩٣ه). التحرير والتنوير. ط: الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤، ١٨/ ٢٨٢.

يعني المسلمون (الصحابة)، وهُمْ من هُمْ في الإيمان والعمل الصالح، ومجتمعهم خير مجتمع في التاريخ، ظلوا سنوات طويلة، حتى استكملوا ما استحقوا به ما وعدهم الله ﷻ – ومن بعدهم، ممن سينهج نهجهم ويسير على طريقتهم – بهذا الوعد. فلهذا الوعد ثمن، ولا يُلقاه إلا من عرف حقه، وأدى ثمنه.

وفي السطور التالية، نوضح الأسباب التي أدت إلى استحقاقهم هذا الوعد، والشرط الذي وفوا به، وما رفعوه عن أنفسهم من معوقات وموانع، قد تمنع تحقيق الوعد الإلهي، حتى نقيس أنفسنا عليهم، ونقرر أين نحن من وعد الله ﷻ؟ هل نستحق أن نكون موعودين، بهذا الوعد كما وعدهم الله ﷻ؟ أم أننا نحتاج إلى إصلاح كثير من الأمور.

سبب الوعد الإلهي

تعريف السبب

السبب في اللغة: "الحَبْل"، ثم استعير لكل شيء يُتَوَّصل به إلى أمر من الأمور، أو مقصود ما، فقيل: هذا سبب، وهذا: مُسَبَّبٌ (نتيجة) عن هذا[١]. والسبب في الاصطلاح: ما ارتبط به غيره وجودا وعدما[٢]. فالسبب وسيلة، وصِلة، كالحبل في إخراج الماء من البئر[٣].

أي أن السبب إذا وُجِد، وُجد المُسَبَّبُ (أي وُجدت النتيجة). وإذا لم يوجد، لم يوجد المُسَبَّبُ (أي لم توجد النتيجة). ومثال ذلك في الأمور الشرعية: دخول وقت الصلاة سبب فرض الصلاة، فإذا دخل الوقت ترتب عليه فورا فرض الصلاة.

قانون السببية

دل القرآن الكريم على أنه لا يحدث شيء يحدث في الكون إلا وله سبب. وقانون السببية يعني ربط المُسَبَّبات بأسبابها، والنتائج بمقدماتها. وهذا القانون عام شامل لكل ما في العالم، ولكل ما يحصل للإنسان في الدنيا والآخرة[٤]. فهذا القانون سنة من سنن

---

١ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٢٦١.

٢ - الزحيلي: محمد مصطفى، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي (المدخل – المصادر – الحكم الشرعي ط: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م، ٣٩١/١.

٣ - الوجيز في أصول الفقه الإسلامي – الزحيلي، ٣٩٢/١،٢٩٣.

٤ - زيدان: عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ص: ٢٢.

الله ﷻ في خلقه، قال ﷻ: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا**﴾[1]. وهذا القانون ينطبق على الكون المجبر، وعلى الإنسان المخير.

ومن مفردات هذا القانون التي تفسر ما يحدث في حياتنا، ما يلي:

١. إذا حدث السبب حدثت النتيجة المنطقية، المترتبة عليه، بمجرد حدوثه، بلا إبطا، حتما ولازما ولا بد (طالما وُجد الشرط، وانتفت الموانع).

٢. إذا لم يحدث السبب، لا يمكن بأي حال من الأحوال، أن تحدث النتيجة.

٣. إذا وجدنا أمرا حدث أو يحدث في الكون أو في حياة البشر، فهذا معناه حتما ولازما أن هناك أسباب أدت لحدوثه، علمناها أم لم نعلمها.

٤. إذا أردنا حدوث أي أمر مهما صغر أو كبر في حياتنا، فلا بد أن نقدم له الأسباب الصحيحة المناسبة (مع التوكل على الله ﷻ).

٥. إذا أردنا تغيير أمر واقع أو حادث، فيجب علينا معرفة سبب أو أسباب حدوثه، ومن ثم العمل على تغييرها، لنحصل على نتيجة أو واقع مختلف.

السبب الموجِب للوعد الإلهي

يقول ابن عاشور، في التحرير والتنوير: إن القرآن الكريم نزل لمجموع الأمة، لا لفئة أو مجموعة أو طائفة. والوعد الإلهي في الآية رقم (٥٥) من سورة النور موجه بالتالي إلى مجموع الأمة. ويقول العلامة ابن عاشور في تفسير هذه الآية أن قوله ﷻ : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**...... الآية﴾ يُقصد به أنتم كلكم أيها

[1] - سورة الفتح، الآية رقم: ٢٣

المؤمنون (يعني كل المجتمع). وحرف (من) في الآية يقصد به جميعكم، ولا يراد به التبعيض كما في آية سورة الفتح: ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا** (٢٩)﴾ . فهذا الوعد وُعدت به مجتمعات الأمة الإسلامية، لا فرد بذاته، ولا مجموعة معينة، أو فئة أو طائفة من الأمة دون غيرها.

والسبب المُوجِب للوعد الإلهي للمؤمنين: بالاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين، والأمن من بعد الخوف، هو ما أشارت إليه الآيات الكريمة:﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾. فالإيمان وقواعد الإسلام، والاستقامة في المعاملة هي التي بها تيسير سبب الموعود به. فهذه التكاليف التي جعلها الله ﷻ قواما لصلاح أمور الأمة صارت بترتيب تلك الموعدة عليها (أسبابا لها). وكانت الموعدة كالمُسَبَّب (النتيجة)، فشابهت من هذه الحالة: خطاب الوضع (السبب الشرعي) [1].

ومعنى ذلك أن المجتمع المسلم الموعود بهذا الوعد هو المجتمع المسلم المصبوغ بصبغة الإيمان والعمل الصالح – بحيث إذا نظرت إليه قلت هذا مجتمع مؤمن صالح. والمجتمع المسلم غير الموعود بهذا الوعد، هو المجتمع المسلم غير المصبوغ بالإيمان والعمل الصالح – بحيث إذا نظرت إليه قلت هذا مجتمع فاسد أو فاسق أو فاجر أو ظالم أو .....

[1] - التحرير والتنوير، ٢٨٤/١٨.

المقصود بالإيمان

الإيمان هو التصديق الجازم، والإقرار الكامل، والاعتراف التام بوجود الله ﷻ وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده ﷻ العبادة دون ما سواه، واطمئنان القلب بذلك اطمئنانا ترى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله ﷻ، واجتناب نواهيه، مع إظهار الخضوع والطمأنينة، وبأن محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ، وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به ﷺ عن ربه ﷻ وعن دين الإسلام، وعن الأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، والانقياد له ﷺ بالطاعة المطلقة فيما أمر به أو نهى عنه. ويجب أن يتبع ذلك كله: قول اللسان، وعمل الجوارح والأركان، ولا يجزئ واحد منها (الاعتقاد، والقول، والعمل) إلا بالآخرين[١].

وأقل مراتب الإيمان: التصديق بالشهادتين، ويليها: التصديق بما ذُكر في حديث جبريل عليه السلام: **(بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر كله)**[٢]. واستعمال الشارع (الإيمان) للدلالة على تصديق القلب بالأمور الشرعية، أغلب من استعماله في فوائده وثمراته[٣].

والإيمان –كما قال العلماء–: قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح، أما المرجئة، فقد قصروا الإيمان على الإقرار باللسان والتصديق بالجنان[٤].

---

[١] - موقع: الدرر السنية، الموسوعة العقدية، الكتاب الثامن / الباب الأول/ المبحث الثاني: تعريف الإيمان اصطلاحا. /https://dorar.net/aqeeda٢٥٢٢

[٢] - أخرجه مسلم، حديث رقم : ٨.

[٣] - معنى الإيمان والإسلام، ص: ١٠.

[٤] - الفوزان: صالح بن فوزان بن عبد الله ، التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، ط: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ص: ١٤٥..

وللإيمان نور تتكشف به الحقائق للمؤمن، ويجد به الطمأنينة، والأمان والأمن في حياته، ويجد نورا يمشي به في الناس.

ورابطة الإيمان هي الرباط الأساسي بين المسلمين، مهما اختلفت روابط ووشائج الدنيا، من نسب، أو أرض، أو وطن، أو قوم، أو عشيرة، أو لون، أو لغة، أو جنس، أو عنصر، أو حرفة، أو طبقة، أو مصالح مشتركة، أو غير ذلك.

وبغير الإيمان يعيش الفرد في المجتمع ريشة في مهب الريح، لا يعرف حقيقة نفسه، ولا سر وجوده، ويكون كالحيوان المفترس لا تردعه ثقافة ولا قانون.

ومفتاح الشخصية الإسلامية والعربية على وجه خاص هو الإيمان... هو عقيدة الإسلام. ومهما نحاول أن نذكي هذه الشخصية، وأن نفجر طاقاتها المكنونة، بغير مفتاحها الأصيل، وهو الدين والإيمان، فإننا نحاول عبثا، كمن يبني على الماء أو يكتب في الهواء[1].

وما قامت الحضارة الإسلامية إلا على العقيدة الإسلامية، المبينة لحقيقة الوجود، وغاية الحياة، والتي شكلت قاعدة من قواعد التحضر الإسلامي، على أساس أن المهمة التي من أجلها خُلق الإنسان هي أن يكون خليفة لله ﷻ في الأرض، يقوم بتعميرها وفق أوامر الله ﷻ ونواهيه. ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[2].

[1] - القرضاوي، يوسف. الإيمان والحياة، ص: ٤.

[2] - سورة البقرة، الآية رقم: ٣٠

الخلاصة:

الحد الأدنى الإيماني المُلزِم لعموم أفراد المجتمع المسلم، هو مستوى الإسلام والإيمان، المذكور في حديث جبريل عليه السلام، بحيث إذا نظرت إلى المجتمع قلت هذا مجتمع مسلم مؤمن متلزم بالإسلام، ولا يمتنع وجود نسبة من الأفراد ليسوا على هذا المستوى، بسبب العصيان أو النفاق. لكن هذه النسبة لا ترقى إلى التأثير السلبي على باقي أفراد المجتمع، ولا ترقى إلى أن تكون ظاهرة من الظواهر المجتمعية. وفي هذا يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير إن قوله ﷻ : ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾ "عَامٌّ لَا يَخْتَصُّ بِمُعَيَّنٍ، وَعُمُومُهُ عُرْفِيٌّ، أَيْ غَالِبٌ فَلَا يُنَاكِدُهُ مَا يَكُونُ فِي الْأُمَّةِ مِنْ مُقَصِّرِينَ فِي عَمَلِ الصَّالِحَاتِ فَإِنَّ تِلْكَ الْمَنَافِعَ عَائِدَةٌ عَلَى مَجْمُوعِ الْأُمَّةِ"[1]. وعلى هذا لا يُطالب عموم أفراد المجتمع بشكل إلزامي بمرتبة الإحسان **(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**، فهذه المرتبة متروكة لاجتهادات الأفراد، لأن ليس كل فرد يمكنه الوصول لهذه المرتبة، فلا يُلزم الفرد إلا بمرتبة الإسلام، والإيمان.

المقصود بالعمل الصالح

العمل الصالح هو العمل المرضي عند الله ﷻ، وهو الجامع لشيئين؛ الأول: أن يكون وفق الشرع الإسلامي، الثاني: أن يكون المقصود به مرضاة الله ﷻ وطاعته. فالعمل الصالح بهذا المفهوم يشمل كل ما يحبه الله ﷻ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كالإيمان بالله ﷻ، والتوكل عليه، والشعائر التعبدية، وبر الوالدين، وتلاوة القرآن، والحب

[1] - التحرير والتنوير، ٢٨١/١٨.

في الله ﷻ والبغض في الله ﷻ ، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأداء الأمانة، والأخلاق الحسنة، وإفشاء السلام، وإعانة الضائع، وهداية الضال، وهكذا.

الخلاصة

" التَّعْرِيفُ فِي ﴿**الصَّالِحاتِ**﴾ لِلِاسْتِغْرَاقِ، أَيْ عَمِلُوا جَمِيعَ الصَّالِحَاتِ، وَهِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي وَصَفَهَا الشَّرْعُ بِأَنَّهَا صَلَاحٌ، وَتَرَكَ الْأَعْمَالَ الَّتِي وَصَفَهَا الشَّرْعُ بِأَنَّهَا فَسَادٌ لِأَنَّ إِبْطَالَ الْفَسَادِ صَلَاحٌ"[1]. " وَاسْتِغْرَاقُ الصَّالِحاتِ اسْتِغْرَاقٌ عُرْفِيٌّ، أَيْ عَمَل مُعْظَمَ الصَّالِحَاتِ، وَمُهِمَّاتِهَا، وَمَرَاجِعَهَا، مِمَّا يَعُودُ إِلَى تَحْقِيقِ كُلِّيَّاتِ الشَّرِيعَةِ، وَجَرْيِ حَالَةِ مُجْتَمَعِ الْأُمَّةِ عَلَى مَسْلَكِ الِاسْتِقَامَةِ "[2]

توضيح لابن تيمية وابن كثير

١- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله ﷻ: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾: " فهذا الوعد مناسب لكل من اتصف بهذا الوصف (الإيمان والعمل الصالح). فلما اتصف به الأولون استخلفهم الله ﷻ كما وعد. وقد اتصف بعدهم به قوم بحسب إيمانهم وعملهم الصالح: فمن كان أكمل إيمانا وعمل صالحا، كان استخلافه المذكور أتم. فإن كان فيه نقص وخلل (أي في الإيمان والعمل الصالح) كان في تمكينه خلل ونقص. وذلك أن هذا (الوعد) جزاء هذا العمل (الإيمان

[1] - التحرير والتنوير، ١٨/ ٢٨٣.
[2] - المرجع السابق

والعمل الصالح)، فمن قام بذلك العمل (الإيمان والعمل الصالح) استحق ذلك الجزاء (الوعد)"[1].

٢- ويقول الإمام ابن كثير: " فالصحابة ﷺ، لما كانوا أقوم الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله ﷻ، وأطوعهم لله ﷻ، كان نصرهم بحسبهم، وأظهروا كلمة الله ﷻ في المشارق والمغارب، وأيدهم تأييدا عظيما، وتحكموا في سائر العباد والبلاد. ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر، نقص ظهورهم بحسبهم "[2]. أي نقص تمكينهم، بحسب ما عندهم من الإيمان والعمل الصالح، وقيامهم بأوامر الله ﷻ[3].

وفي أسباب النزول عن أبي العالية، مما سبق ذكره: " ثُمَّ قَبَضَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ، فَكَانُوا آمِنِينَ كَذَلِكَ فِي إِمَارَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ ﷺ حَتَّى وَقَعُوا فِيهِ، وَكَفَرُوا النِّعْمَةَ، فَأَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفَ وَغَيَّرُوا، فَغَيَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَا بِهِم". أي إنه قد حدث فيهم نقص في الإيمان والعمل الصالح بقتلهم عثمان رضي الله عنه، فاستوجب ذلك نقصان ما يتحقق لهم من وعد الله ﷻ، بنفس نسبة النقص الذي حدثت عندهم، فكانت النتيجة أن أدخل الله ﷻ عليهم الخوف – ضد الأمن – جزاء ما اقترفوه في مجال الأمن، بقتلهم سيدنا عثمان رضي الله عنه، فاتخذوا الشُرطة، والحُجَّاب، والبوابين؛ خوفا من تكرار ما حدث. وزيادة في التوضيح نقول: إن نسبة ما يتحقق من الوعد الإلهي، بالاستخلاف في الأرض (الحكم الإسلامي الرشيد)، وتمكين الدين في القلوب، وفي تصريف شؤون الحياة، والأمن الشامل، هذه النسبة تتناسب تناسبا طرديا – صعودا وهبوطا – مع نسبة

---

[1] - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨ه). مجموع الفتاوى. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد. ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة، ٣٠٢/١٨.

[2] - ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ه). تفسير القرآن العظيم. ت: محمد حسين شمس الدين. ط: دار الكتب العلمية ، ٧٤/٦.

[3] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ، ص: ١٨٠.

ما يتحقق من الإيمان والعمل الصالح في المجتمع المسلم، فكلما زادت نسبة ما يتحقق من الإيمان والعمل الصالح في المجتمع، زادت معها نسبة ما يتحقق لها من وعد الله ﷻ. وكلما نقصت نسبة ما يتحقق من الإيمان والعمل الصالح في المجتمع، نقصت معها نسبة ما يتحقق من وعد الله ﷻ بنفس النسبة. حتى إذا نقصت نسبة الإيمان والعمل الصالح، في المجتمع، عن الحد الأدنى المطلوب[١]، نقصت بالضرورة نسبة ما يتحقق من الوعد الإلهي (الاستخلاف وتمكين الدين والأمن) عن الحد الأدنى. ويصبح الوعد الإلهي كأنه غير موجود. أي تصبح المجتمعات التي نقصت فيها نسبة الإيمان والعمل الصالح عن الحد الأدنى، غير موعودة بهذا الوعد، حتى تزيد فيها تلك النسبة مرة أخرى على الأقل إلى الحد الأدنى، الذي تتحقق به نسبة الحد الأدنى من الوعد الإلهي، وهكذا..

---

١ - تقديرنا لهذه النسبة، أنها النسبة المؤثرة المانعة من ظهور الباطل في المجتمع، وهي في تقديرنا الشخصي، لا تقل عن ٧٠٪ من أفراد المجتمع. وسنوضح سبب اختيار هذه النسبة في حينه.

شرط الوعد الإلهي

تعريف الشرط

الشّرْط في اللغة: تعليق حصول أمر على حصول أمر آخر[١].

والشرط في العرف العام: ما يتوقف عليه وجود الشيء[٢]، وعند الأصوليين: هو الخارج عن الشيء، الموقوف عليه ذلك الشيء، غير المؤثر في وجوده[٣]. وعند المتكلمين: الشرط أمر خارج عن الشيء، يتوقف عليه الشيء، ولا يترتب عليه[٤].

فالشرط تعليق حصول أمر على حصول أمر آخر، دون تأثير في وجوده. يعني لا يحصل أمر حتى يحصل شرطه، لكن حصول الشرط لا يعني بالضرورة ترتب حصول الأمر المعلق بالشرط. بعكس السبب الذي يستدعي النتيجة بمجرد حدوثه.

ومثال شرعي للشرط: الوضوء شرط لصحة الصلاة، لكن لا يعني أن يتوضأ المسلم أنه يصلى فورا، فقد يؤخر الصلاة أو يجمع صلاتين أو غير ذلك.

شرط تحقيق الوعد الإلهي

قال ﷻ: ﴿**يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**﴾. فحصول ما وعد الله ﷻ به سبحانه المؤمنين، مشروط بالعبادة الصحيحة، والتوحيد الحق.

---

[١] - التهانوي، محمد بن علي بن محمد ٠(ت بعد ١١٥٨ه).كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ت: د. على دحروج، ترجمة: د. عبد الله الخالدي، ترجمة أجنبية: د. جورج زيناني. ط: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ١/ ١٠١٣.

[٢] - المرجع السابق، ١٠١٤/١.

[٣] - المرجع السابق، ١٠١٤/١.

[٤] - المرجع السابق، ١٠١٤/١.

١- العبادة الصحيحة

معنى العبادة

العبادة في الشرع تجمع أصلين: غاية الحب، بغاية الذل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعا له، لم تكن عابدا له، ومن خضعت له بلا محبة، لم تكن عابدا له، حتى تكون محبا خاضعا[١]. والعبادة هي وظيفة الإنسان الخليفة المختار للخلافة في الأرض، ﴿**وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[٢]. ومقتضى عبادة الإنسان لله ﷻ وحده: أن يُخضِع أموره كلها لما يحبه الله ﷻ ويرضاه، من الاعتقادات، والأقوال، والأعمال، وأن يكيف حياته، وسلوكه، وفقا لهداية الله ﷻ وشرعه[٣]. ولا يُعبد الله ﷻ إلا بما شرع، فما كان من بدع قولية أو فعلية، فهي رد على من ابتدعها.

العبادة كاملة متكاملة شاملة

العبادة الكاملة: تعني بعد العقيدة: الشعائر التعبدية، والأخلاق، والقيم، والشرائع أو المعاملات.

والعبادة المتكاملة: تعني عدم إهمال أي شيء مما سبق، أو تغليب أمر على أمر. كأن يترك المسلم العمل، ظنا منه عدم أهمية العمل، ما دام مؤمنا. أو يترك المعاملات مع الانتظام في العبادات، بحجة أن الإسلام هو العبادة فقط، وهكذا.

---

[١] ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت: مجموعة من العلماء، ط: دار الصميعي للنشر والتوزيع – الرياض – المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١م، ٣٢٧/١.

[٢] ـ سورة الذاريات، الآية رقم: ٥١

[٣] – القرضاوي، يوسف. العبادة في الإسلام. ط: مكتبة وهبة – عابدين – القاهرة، ١٤١٦ه/ ١٩٩٥م، ص: ٥٣.

والعبادة الشاملة: تعني شمول العبادة للزمان كله، والمكان كله، والأحوال كلها، ومجالات الحياة كلها: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعسكرية، والأمنية، والعلمية، والتعلمية، والحضارية، ....

كما تعني العبادة الشاملة: شمول العبادة لكيان الإنسان كله: قلبه، وعقله، وروحه، وبدنه، وجوارحه، ومشاعره، وأفكاره.

ومن معاني شمول العبادة، أن العبادة اسم جامع للأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة:

أ- **الأقوال الباطنة:** وهي (أقوال القلب): باعتقاد ما أخبر ﷻ به على لسان رسوله ﷺ، عن نفسه، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وملائكته، ولقائه.

ب- **الأقوال الظاهرة:** كالإخبار عنه ﷻ (باللسان)، والدعوة إليه، والذب عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره، وتبليغ أوامره.

ج- **الأعمال الباطنة:** وهي (أعمال القلب): كالمحبة لله ﷻ، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر له على أوامره، وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضى به وعنه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه.....

ء- **الأعمال الظاهرة:** وهي (أعمال الجوارح): كالصلاة، والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمع والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك[1].

إن التعبد بهذه المعاني يمتد إلى كل مساحات الحياة البشرية الظاهرة والخفية، الخاصة والعامة، الفردية والجماعية، المادية والروحية، تماما كما تمتد الدماء وتسري في أوصال الجسد البشري وخلاياه[2].

---

[1] - ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي (ت ٧٥١ه). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ت: مجموعة من العلماء. ط: دار الصميعي للنشر والتوزيع – الرياض – المملكة العربية السعودية ١٤٣٢ه- ٢٠١١م، ١/ ٣٧٨.

[2] - القرضاوي، يوسف. الإيمان والحياة، ص: ٤.

الحد الأدنى المطلوب من العبادة للفرد المسلم

يجب على الفرد المسلم ألا ينزل بمستوى عبادته عن حد أدنى، يتحقق به شرط: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾. هذا الحد الأدنى هو فعل الفروض (الواجبات) وترك المحرمات.

فالتكاليف العينية (الفردية أو الشخصية) التي يجب على كل مسلم أن يؤديها، بنفسه، ولا ينوب عنه غيره في أدائها، تنقسم إلى خمسة أنواع:

أ- فرض (واجب): هو ما طلب الشارع فعله على وجه الحتم والإلزام، سواء أكان ذلك مستفادا من صيغة الطلب نفسها، أم من قرينة خارجية. وهو أيضا: ما يمدح فاعله، ويُذم تاركه قصدا[١]. كأركان الإسلام بعد الشهادتين، وبر الوالدين، وأداء الأمانة.

ب- مندوب (السنة): هو ما طلب الشارع فعله من المكلف طلبا غير حتمي، فيحمد فاعله، ولا يذم تاركه[٢]. كالسنن النوافل، وإلقاء السلام، وكتابة الدين.

ج- حرام: هو ما طلب الشارع من المكلف تركه على وجه الحتم والإلزام، فيذم شرعا فاعله [٣]. كشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، والسرقة، والرشوة، والزنا، والنظر المحرم.

ء- ومكروه: هو ما طلب الشارع من المكلف تركه لا على وجه الحتم والإلزام، فيمدح تاركه، ولا يُذم فاعله[٤]، كالأكل متكئا، والشرب من فم القرب، والاستنجاء باليمين.

هـ- مباح: هو ما خَيَّر الشارع المكلف بين فعله وتركه، فهو لا يتعلق فعله بمدح أو ذم[٥]. كالأكل ، والشرب، والنكاح، والبيع، والشراء. وهذا النوع ينقلب إلى عبادة بالنية.

---

[١] - الزحيلي، وهبة. أصول الفقه الإسلامي. ط: دار الفكر، ٤٦/١.
[٢] - المرجع السابق، ٧٦/١.
[٣] - المرجع السابق، ٨١/١.
[٤] - المرجع السابق، ١/ ٨٤.
[٥] - المرجع السابق، ١/ ٨٧.

والذي ميز الصحابة عن غيرهم، هو أخذهم المندوبات كالفروض، والمكروهات كالمحرمات. لكن الحد الأدنى الذي لا يجب أن يقل عنه الفرد المسلم، بأي حال من الأحوال: أولا – فعل الفروض العينية (الواجبات) – وما تحول من الفروض الكفائية، إلى فرض عيني في حق بعض الأفراد أو المؤسسات، لسبب من الأسباب. وثانيا – الانتهاء عن المحرمات.

الحد الأدنى المطلوب من العبادة للمجتمع المسلم

الفروض الكفائية هي الفروض المقابلة للفروض (الواجبات) العينية، وهي فروض مجتمعية، يُطلب من المجتمع القيام بها على وجه التضامن. والغرض منها جلب المصالح للمجتمع، ودرء المفاسد عنه، وأداء الحقوق، وما لا يتم الواجب إلا به، وما يحقق النظام العام في الدولة، مما يمس كيانها أو يتعلق بمصلحة أساسية من مصالحها أو مصالح أفرادها. كما إن للفروض الكفائية صلة وثيقة في تحقيق مقاصد الشريعة، الخاصة بالفرد، والأسرة، والمجتمع، والدولة، والأمة، والبشرية.

وهذه الفروض إذا أتى بها وأقام الكفاية بها أي عدد من الناس سقط الإثم والتكليف عن باقي أفراد المجتمع. وإذا لم يقم بها أحد، أثم المجتمع كله، وأصبح فاسدا فاسقا في نظر الشرع.

وهذه الفروض الكفائية، منها الديني والدنيوي، ولها دور هام في نهضة الأمة، ووقوفها على قدميها، وهي مصدر أساسي من مصادر قوتها وأمنها وحفظ دينها، وسبب من أسباب رفاهيتها، ورفعتها، وسعادتها[1].

وتختلف هذه الفروض من مجتمع مسلم لآخر، لأن كل مجتمع له احتياجاته الخاصة. والطلب الشرعي في الفرض الكفائي موجه إلى الأفراد والطوائف في المجتمع، فيشمل الجميع كل حسب قدراته وموقعه، وبهذا يدخل في هذا الطلب الأفراد، ومؤسسات المجتمع المدني، والحكومات. ولا يعفى أي فرد أو طائفة بحجة أن الحكومة هي التي تقوم بهذه الفروض. فالفرد القادر على المشاركة في فعل أي فرض كفائي مُطالب بالمشاركة في تحقيق الكفاية فيه. وغير القادر يجب عليه المعاونة، والتشجيع، والتمويل، بل حتى الدعاء، ولا يعفى أي فرد أو مؤسسة في المجتمع المسلم حتى تتم الكفاية، وإلا أُعتبِر الجميع في موقع الإثم.

ومن أمثلة الفروض الكفائية الدينية: إقامة الإمامة العظمى (الرئاسة الرشيدة للدولة الإسلامية) ، والشورى، والاشتغال بعلوم الشرع المختلفة، والاجتهاد الشرعي (خاصة الجماعي)، والقضاء الشرعي، والفتوى، وحفظ جميع القرآن، وتعلم العلم الشرعي وتعليمه، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجهيز الموتى، والتقاط اللقيط، وإمامة الصلاة، ودفع ضرر محاويج المسلمين إذا لم تندفع بزكاة أو بيت مال. وتعلم واستعمال الوسائل الحديثة في الدعوة، وغير ذلك.

---

[1]- تحدثنا بالتفصيل عن هذه الفروض، في كتابنا: "نور الوعد الإلهي ١- لزوم الفروض الكفائية ومسؤولية الأفراد والمجتمع المدني"، فليرجع إليها هناك، لمن أراد. والكتاب متوفر مجانا على الإنترنت، في عدد من المكتبات الإلكترونية: كمكتبة نور، وأرشيف، ومصورات عبد الرحمن النجدي، وكتوباتي، وفوله بوك.

ومن أمثلة الفروض الكفائية الدنيوية: الحرف والصناعات، وما لا بد منه حتى الحجامة والكنس. وتحقيق الأمن الغذائي، والأمن الدوائي، والمائي، والعسكري، والقومي، ....وكافة أنواع الأمن، والمحافظة على البيئة، والتكافل الاجتماعي، وكفاية الأيتام، وإقامة النظم التعليمية الفعالة، والاهتمام بالرياضة وتطوير مؤسساتها، وإعانة الشباب على الزواج، والقضاء على مشكلة العنوسة، ورعاية الحوامل والرضع، تشغيل الثروة النقدية، وإنشاء المصارف الإسلامية، وحسن استغلال الموارد الاقتصادية، واكتشاف المواهب وتنميتها، وتوطين الصناعات، والتطوير السياسي للشعوب، ونصيحة الحاكم، وتطوير القرى والأحياء، .....

٢- التوحيد الحق وعدم الشرك

التوحيد حق الله ﷻ على العباد

التوحيد حق الله ﷻ على العباد، فقد روى البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: **(يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله)**؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **(حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا)**. قلت: يا رسول الله. أفلا أبشر الناس؟ قال: **(لا تبشرهم فيتكلوا)**.

والسر في هذا الحق أن الله ﷻ قد خلق الناس من عدم، ثم أمدهم بنعم لا تُحصى، وسخر الشمس والقمر، والليل والنهار لخدمتهم، وآتاهم العقل، وعلمهم البيان. فمِن

حقه ﷻ: الخالق، المنعم، المُعَلم، الرحمن، الرحيم: أن يُشكر فلا يُكفر، ويُذكر فلا يُنسى، ويُطاع فلا يُعصى[1].

وإقامة التوحيد، والدعوة إلى التوحيد، هي رسالة المسلم في الحياة إلى مماته، قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [2]، والتوحيد أيضا رسالة الأمة إلى العالم كله، وإلى جميع الأمم، وهذا ما كان يقوم به النبي ﷺ.

التوحيد المأمور به

والتوحيد الصحيح الذي أمر به الخالق ﷻ، والذي لا يُقبل إيمان أي إنسان بغيره:

١- توحيد اعتقادي علمي خاص بالإثبات: بأن يؤمن بأنه ﷻ واحد متفرد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له ولا شبيه له، ولا ولد له ولا والد له (توحيد الربوبية).

٢- وتوحيد عملي سلوكي خاص بالطلب والقصد والإرادة: بأن يفرده ﷻ بالعبودية الكاملة، والطاعة المطلقة، والذل له، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والخشية منه، والرجاء فيه... إلخ (توحيد الإلهية أو الألوهية). وهذا النوع هو الذي يتبادر على الذهن عند إطلاق كلمة " التوحيد".

---

[1] - القرضاوي، يوسف. حقيقة التوحيد. ط: مكتبة وهبة، ١٤٢١هـ - ٢٠١٠م، ص: ٣١،٣٠.
[2] – سورة الذاريات، الآية: ٥٦

وهو الذي بعث الله ﷻ به الرسل، وأنزل به الكتب، وأرى الناس آياته في آفاق الكون وفي أنفسهم، وهو الذي من أجله قامت سوق الجنة والنار، وانقسم الناس إلى فريق في الجنة وفريق في السعير. وعنوان هذا التوحيد هو "لا إله إلا الله"[1].

بماذا يتحقق التوحيد[2]

يتحقق التوحيد بما يلي:

١- إخلاص العبودية لله ﷻ وحده

بإعطاء الألوهية حقها الكامل من التعظيم، والمحبة، والخضوع المطلق، بما يلي :

أ- ألا يبغي ربا يعظمه غير الله ﷻ، قال تعالى: ﴿**قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ**﴾[3].

ب- ألا يتخذ وليا يحبه كحب الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿**قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ**﴾[4].

ج- ألا يبتغي غير الله ﷻ حَكَماً (مشرعا)، يطيعه كما يطيع الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿**أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ**﴾[5] ، ﴿**إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾[6].

٢- الكفر بالطواغيت

---

[1]- حقيقة التوحيد، ص: ١٩:٢٦.

[2]- المرجع السابق، ص: ٣٤:٦٦.

[3] – سورة الأنعام، الآية: ١٦٤

[4] – سورة الأنعام، الآية: ١٤

[5] – سورة الأنعام، الآية: ١١٤

[6] – سورة الأنعام، الآية: ٥٧

ويتحقق الإيمان أيضا بالكفر بالطواغيت، والبراءة من كل من عبدها أو والاها من دون الله ﷻ، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] . والطاغوت كلمة مشتقة من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، وأضبط معنى له: أنه "كل ما تجاوز به العبد حده بالعبادة أو الاتباع أو الطاعة – برضى من ذلك المعبود أو المُطاع أو المُتبع إن كان من البشر، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ﷻ ورسوله ﷺ، أو يعبدونه من دون الله ﷻ ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ﷻ ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ﷻ ".

٣– اتقاء الشرك القولي والفعلي والحذر منه

أ– الشرك الأكبر : بأن يجعل الإنسان لله ﷻ شريكا فيما هو خالص حقه ﷻ.

١– باتخاذ آلهة: يعبدها، أو يطيعها، أو يستعين بها، أو يحبها، أو نحو ذلك. وهذا النوع لا يقبل المغفرة بأي حال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [2]، والجنة حرام على المشرك، والنار مأواه: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾[3].

وهذا الشرك منه:

---

[1] – سورة البقرة، الآية: ٢٥٦

[2] – سورة النساء، الآيات: ١١٦،٤٨

[3] – سورة المائدة، الآية: ٧٢

أ- الظاهر الجلي: كعبادة إله أو أكثر مع الله ﷻ، أيا كان هذا الإله من الشجر، أو الحجر، أو البشر، أو الشمس، أو القمر، أو غيرها.

ب- الخفي: كدعاء الموتى والمقبورين من أصحاب الأضرحة والمقامات، والاستعانة بهم وطلب قضاء الحوائج، وشفاء المرضى، وتفريج الكربات.

وسبب خفائه: أن الناس لا يسمونه عبادة، ويظنون أن العبادة في الصلاة والصيام ونحوها، رغم أن "الدعاء هو العبادة". وكذلك لأنهم يظنون أن هؤلاء المقبورين وسائط بينهم وبين الله ﷻ، جهلا منهم.

٢- اتخاذ غير الله ﷻ مُشَرِّعا أو حَكَماً، بإعطاء حق التشريع لبعض البشر فيحلون لهم ويحرمون عليهم ما شاءوا، ويشرعون لهم من الأنظمة والقوانين، أو يضعون لهم من المناهج والأفكار ما لم يأذن به الله ﷻ ، رغم أن العالم مملكة الله ﷻ.

ب- الشرك الأصغر

هذا النوع من كبائر الذنوب، بل من أعظمها عند الله ﷻ. ومنه: الحلف بغير الله ﷻ، ولبس الحلقة والخيط بالعضد كسبب لعلاج أو غيره، وتعليق التمائم من غير القرآن الكريم (اختلف العلماء في التميمة من القرآن الكريم)، والرُقَى: وهي الكلمات التي كان يتعاطاها أهل الجاهلية بألفاظ غير مفهومة لدفع الآفات بالاستعانة بالجن، والسحر، والتنجيم، والتِّوَلة، وهو سحر تحبيب الرجل إلى المرأة أو العكس، والكهانة والعرافة، والذبح لغير الله ﷻ، والطيرة: أي التشاؤم من بعض الأشياء، والرياء.

الخلاصة

إذا وُجِد في المجتمع المسلم، السبب المُوجِب للوعد الإلهي (الإيمان والعمل الصالح)، يُنظر إلى الشرط ﴿**يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**﴾، فإذا تحقق، كان معنى ذلك أن الأمة الإسلامية تسير في الطريق الصحيح لتحقيق وعد الله ﷻ، أما إذا حدث خلل في الشرط، فعكس ذلك.

موانع تحقيق الوعد الإلهي

تعريف المانع

المانع في اللغة: اسم فاعل من مَنَعَ الشيء، والجمع: موانع، وهو ما يحول بينك وبين ما تريد، أو ما يحول دون ترتب الحكم مع وجود السبب[1].

المانع في الاصطلاح: هو ما رتب الشارع على وجوده عدم وجود الحكم أو عدم السبب أي بطلانه.

ومانع الحكم: هو ما يترتب على وجوده عدم وجود الحكم، بالرغم من وجود سببه المستوفي لشروطه. كالأبوة المانعة من القصاص، إذا قتل ابنه عمدا وعدوانا، وإن كانت الدية تلزمه.

ومانع السبب: هو الذي يؤثر في السبب، بحيث يبطل عمله، ويحول دون اقتضائه للمُسَبَّب (النتيجة). كالدَيْن المنقص لنصاب الزكاة.

العلاقة بين السبب والشرط والمانع

صرح غير واحد من العلماء، بضرورة تحقق شروط السبب، وانتفاء موانعه، حتى ينتج هذا السبب مُسَبَّبه. فإذا لم تُفعل الأسباب على ما ينبغي، ولا استكملت شرائطها، ولم

[1] - قلعجي: محمد رواس، قنيبي: حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، ط: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ص: ٣٩٨.

تنتف موانعها، فلا تقع مُسَبَّباتها، شاء المُكلف أو أَبى؛ لأن المُسَبَّبات ليس وقوعها أو عدم وقعها لاختياره[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع، وكل ذلك بقضاء الله ﷻ وقدره، وليس شيء من الأسباب مستقلا بمطلوبه، بل لا بد من انضمام أسباب أخرى إليه، ولا بد من صرف الموانع والمعارضات عنه، حتى يحصل المقصود"[2].

الفرق بين السبب والشرط والمانع

١- **الفرق بين الشرط والسبب:** الشرط والسبب، كلاهما يتوقف عليه وجود الشيء، إلا إن السبب يلزم من وجوده وجود المُسَبَّب، ومن عدمه عدم وجود المُسَبَّب، أما الشرط، فإنه إذا ما توفر السبب، لا يلزم من وجوده وجود المسبب، لكن يلزم من عدم وجوده عدم وجود المسبب. فمثلا: النصاب سبب لوجوب الزكاة، عند تحقق الشرط، وهو حَوَلان الحَوْل (مرور سنة على بلوغ النصاب). ويلاحظ هنا أنه لو كان هناك سبب أدى إلى حدوث المُسَبَّب بدون هذا الشرط، فإن ذلك يعني أنه ليس شرطا فيه[3].

---

[1] - الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد (ت ٧٩٠ هـ)، الموافقات، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، ط: دار ابن عفان، ١٤١٧هأ – ١٩٩٧م، ٣٤٤/١، ٣٤٥.
[2] - مجموع الفتاوى، ١٦٧/٨.
[3] - الوجيز في أصول الفقه الإسلامي - الزحيلي، ١/ ٤٠٥.

٢- **الفرق بين الشرط والمانع:** المانع عكس الشرط، حيث يلزم من وجوده عدم وجود المُسَبَّب، ولا يلزم من عدم وجوده وجود المسبب ولا عدمه، أما الشرط فيلزم من عدم وجوده عدم وجود المُسَبَّب، ولا يلزم من وجوده وجود المسبب ولا عدمه[١].

٣- **الفرق بين السبب والمانع:** المانع عكس السبب أيضًا، لأنه يلزم من وجود السبب وجود المُسَبَّب، ومن عدمه عدم المُسَبَّب، أما المانع فيلزم من وجوده عدم المُسَبَّب، ولا يلزم من عدمه وجود المُسَبَّب ولا عدمه[٢].

موانع تحقيق الوعد الإلهي

قال ﷻ: ﴿**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ في الأَرْضِ ومَأْواهُمُ النّارُ ولَبِئْسَ المَصِيرُ**﴾[٣].

بعد أن بين الله ﷻ سبب الوعد الإلهي (الإيمان والعمل الصالح)، وبين شرط تحقق هذا الوعد (عبادته بلا بدع وبلا شرك)، ذكر سبحانه مثالا لما قد يكون مانعا من تحقيق الوعد الإلهي رغم توفر أسبابه وتحقق شرطه.

وهذا المانع في هذه الآية، هو حالة الهزيمة النفسية التي قد تتعرض لها الأمة، عندما تفقد إحساسها بكرامتها، ورفعة مكانتها، ويصيبها اليأس من مستقبلها. فهذه الآية تفتح باب الأمل أمام الأمة، فما على المؤمنين إلا تحصيل شروط الاستخلاف، وأما قوة أعدائهم فقد تكفل الله ﷻ بردها مهما بلغت [٤].

---

[١] - الوجيز في أصول الفقه الإسلامي - الزحيلي، ٤١٦/١.
[٢] - المرجع السابق، ٤١٦/١.
[٣] - سورة النور، الآية رقم: ٥٧
[٤] - التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٢٤٤/٥.

ومن موانع تحقيق الوعد الإلهي أيضا: كل ما من شأنه أن يؤخر الأمة، ويعوق تقدمها في سبيل استكمال خطوات تحقيق الوعد الإلهي، ومن أمثلة ذلك:

١- عدم اللجوء إلى الوسائل الصحيحة، المناسبة لظروف الزمان، والمكان، والأحوال.

٢- اهمال تكوين حاضنة اجتماعية (شعبية) تحمي الإسلام، وتدافع عنه.

٣- عدم استيعاب مقصد خلق الإنسان، وهو أن يكون خليفة لله ﷻ في الأرض ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[1]، بأن يكون عبدا لله ﷻ، متبعا لأمر خالقه في كافة أموره ﴿**ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ**﴾[2]. ساعيا لإعمار الأرض والقيام بواجبه الحضاري ﴿**ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ * ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ *عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ**﴾[3]. والعبادة والخلافة والعمارة متداخلة ومتلازمة: فأداء العمارة بنية، جزء من العبادة، وقيام بحق الخلافة. والعبادة بمعناها الواسع تشمل الخلافة والعمارة. ولا خلافة بغير عبادة وعمارة[4].

٤- الجهل بالمقاصد الشرعية: أي الغايات التي من أجلها وُضعَت الشريعة في كلياتها وجزئياتها، متحرية أن تجري حياة الإنسان المَشَّرع له على ما فيه خيره وصلاحه"[5]. سواء كانت هذه المقاصد خاصة بالفرد، أو الأسرة، أو المجتمع، أو الأمة، أو البشرية.

٥- عدم وضوح الرؤية، وغموض الأهداف.

٦- تعسف الطريق وعدم مراعاة السنن الاجتماعية.

٧- عدم استكمال الكوادر اللازمة لمرحلة السعي للتمكين للأمة الإسلامية، ومرحلة التمكين، ومرحلة ما بعد التمكين.

---

[1]- سورة البقرة، الآية رقم: ٣٠

[2] - سورة العلق، الآيات: ١،٢

[3] - سورة العلق، الآيات: ٣:٥

[4] - القرضاوي: يوسف. ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ط: مكتبة وهبة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م ، ص: ١١٠.

[5]- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص: ١٦.

دراسة حال الأمة

بعد أن تعرفنا على أسباب وشروط وموانع الوعد الإلهي، حان وقت تنزيل هذه الأمور على واقع الأمة، والتأكد من استحقاقها الوعد الإلهي، لوجود:

أ- أسبابه في المجتمع (الإيمان والعمل الصالح) بما لا يقل عن الحد الأدنى.

ب- شروطه (التوحيد الحق، والعبادة الصحيحة بلا بدع).

ثم التأكد من انتفاء الموانع التي قد تمنع تحقق هذا الوعد، حتى مع وجود موجباته وأسبابه، وتحقق شروطه.

وضع الأمة الإسلامية الحالي

إن الأمة الإسلامية في العصر الحديث، تعيش أسوأ فترة تاريخية مرت بها، بلا منازع. فلم تصل الأمة الإسلامية إلى هذا الدرك الأسفل التاريخي، في أي لحظة من لحظاتها التاريخية من قبل. نعم كانت الأمة الإسلامية تمر بها التقلبات ما بين: صحوة وغفلة، صعود وهبوط، تقدم وتخلف، ازدهار وانحسار، نهضة وتدهور، انتعاش وانخفاض، إشراق وأفول، قوة وضعف، تألق وخفوت، إحياء وانطفاء. إلا أن الوضع الذي استقر عليه وضع الأمة الإسلامية منذ عدة مئات من السنين، هو الجزء النازل من المنحنى: فهي الآن في غفلة، وهبوط، وتخلف، وانحسار، وتدهور، وانخفاض، وأفول، وضعف، وخفوت، وانطفاء. وقل ما شئت في وصف حالها على نفس المنوال.

هل نقول ذلك من فراغ؟ هل ندعي ما ليس في الأمة؟ هل نطلق أقوالا بلا دليل؟

إن المجتمع المسلم – في الأصل – "مجتمع متميز عن سائر المجتمعات، بمكوناته وخصائصه، فهو مجتمع رباني، إنساني، أخلاقي، متوازن. والمسلمون مطالبون بإقامة هذا المجتمع، حتى يمكنوا فيه لدينهم، ويجسدوا فيه شخصيتهم، ويحيوا في ظله حياة إسلامية متكاملة: حياة توجهها العقيدة الإسلامية، وتزكيها العبادات الإسلامية، وتقودها المفاهيم الإسلامية، وتجملها الآداب الإسلامية، وتهمين عليها القيم الإسلامية، وتحكمها التشريعات الإسلامية، وتوجه اقتصادها وفنونها وسياستها: التعاليم الإسلامية"[1].

هذا ما يجب أن يكون عليه المجتمع المسلم، المستحق لوعد الله ﷻ، دعونا الآن ننظر إلى أحوال الأمة وهي غنية عن التعريف:

مظاهر الفساد في الأمة

العقيدة الإيمان والتدين

تظهر في المجتمعات سمات عديدة تدل على بعدها عن الفهم الصحيح للعقيدة والإيمان الصادق، والعمل الصالح الذي يرضي الله ﷻ :

١- بروز الإلحاد والدعوة إليه في العالم العربي وشمال أفريقيا كظاهرة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بنسب مختلفة[2]. وفي مصر، ورغم قلة عدد الملحدين، إلا أن الإلحاد بدأ يظهر ويطفو على الساحة المصرية عبر الشبكة العنكبوتية، وعبر مواقع

---

[1] - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، ص: ٥.
[2] - موقع بي بي سي نيوز – عربي. الدين والإلحاد في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. تقديم: سيف الدين الرباعي، ١٤ تموز ٢٠٢٣. https://www.bbc.com/arabic/tv-and-radio-٦٦٢٠٠٢٣٠

التواصل الاجتماعي، وفي بعض المبادرات الفكرية والشبابية، حتى أصبحت هذه الظاهرة مقلقة لا سيما في الأوساط الشبابية[1].

٢- ضعف الشعور بالأخوة الإسلامية، المستمدة من الإيمان، واستبدالها بالدعوات القومية والوطنية، المستمدة من النعرات العرقية والطائفية.

٣- الاحتكام إلى شرائع وضعية، ما أنزل الله ﷻ بها من سلطان، والاستمداد من قوانين الكفار كالاستمداد من القانوني الفرنسي، أو الإنجليزي، أو السويسري. وتلك التحاكم إلى شرع الله ﷻ.

٤- اهمال تربية النشء على احترام العقيدة والدفاع عنها، وترك العمل على تثبيتها في العقول والقلوب، في المؤسسات التربوية والتعليمية، والأجهزة التوجيهية كالمدارس، والجامعات، والصحف، والإذاعة، والتليفزيون، والمسرح، والسينما، والأدب بكل فنونه.

٥- حلت الطبيعة (كخالق) محل الله ﷻ، وتبدل مفهوم نشأة الإنسان بالخلق الإلهي المباشر، إلى التطور من القرود. وانتشار المفاهيم الفلسفية اليونانية، وغيرها كتصور عقدي وإيماني.

٦- انكماش مفهوم الإيمان بالدار الآخرة، ليحل محله الإيمان بالوجودية، أو القومية، أو الوطنية، أو غيرها.

---

[1] - مدونات الجزيرة. الإلحاد في مصر (١)، حسام جابر، ٢٠١٧/١/٢٣.
https://www.aljazeera.net/blogs/٢٠١٧/١/٢٣D%/٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٥٪D٩٪٨
٤٪D٨٪D٨AD%D٨٪A٧٪D٨٪D٨-AF٩٪١٨٪D٩٪D٨%D-A٩٪٥٨٪D٨٪B٥٪D٨٪B١-١

٧- اعتبار آراء المفكرين الكفار المشركين أمثال: ماركس، ولينين، وماو، وغيرهم من مفكري الشرق والغرب، كآراء مُسّلمة، موثوقة، تؤخذ عنها مناهج الفكر والتشريع والسلوك أو تُستمد منها القيم والموازين والمُثُل.

٨ – مزاحمة الشيوعية، والاشتراكية، والرأسمالية، والقومية، للعقيدة الإسلامية.

٩ – الغزو العلماني اللا ديني، للفكر والثقافة الإسلامية، واجتياحه البلاد الإسلامية، في مشارق الأرض ومغاربها، تزامنا مع الاحتلال الأجنبي لهذه البلاد.

١٠- انتشار دعاوى الشذوذ الجنسي، بين الذكور والإناث، وتبادل الزوجات، والخيانة الزوجية (الزنا)، والزواج العرفي، وأنواع الزواج غير الشرعية التي ظهرت حديثا.

١١- السفور وعدم الاحتشام في الملابس، والعري على الشواطئ.

١٢- انتشار ظاهرة سب الدين، والتطاول على الذات الإلهية.

الشعائر والعبادات

١- اهمال الصلاة في المجتمع، بشكل ملفت، مع عدم وجود ما يردع هؤلاء.

٢- عدم تفرقة المجتمع بين المصلي وغير المصلي، في التقديم والتأخير والاحترام.

٣- لا يُخصص وقت للصلاة في أي مؤسسة للدولة، ولا يُوجد اهتمام بتخصيص مكان لإقامة الصلاة في الدواوين، والشركات، والمؤسسات، والمدارس، والجامعات.

٤- الاهتمام بإقامة الفاعليات، والاجتماعات، والمحاضرات، دون مراعاة لدخول وقت الصلاة وانتهاؤه، وبلا إقامة للصلاة.

٥- اهمال الحكومات لجمع الزكاة وصرفها في مصارفها الشرعية، وعدم محاسبة الممتنعين.

٦- سكوت المجتمع عن كثير من المنكرات، دون الإنكار على أصحابها، مع علو صوت الباطل.

الأفكار والمفاهيم

١- شيوع مفهوم الحياة، كما لو كانت لا آخرة بعدها، كما هو فهم غير المسلمين.

٢- فهم التقوى على أنها لبس الثياب المرقعة، ومجرد لحية تعفى، ومسبحة في اليد. بلا علم نافع، ولا قلب خاشع، ولا عمل صالح.

٣- الدين مجرد أداء شعائر تعبدية، وعمل كل ما يخالف الإسلام بعد ذلك، كالتعامل بالربا، وترك الزوجة سافرة، وإيداع الأولاد في المدارس التبشيرية.

٤- عند الكثيرين: الفقر شيء مرحب به، والغنى ممقوت وفتنة.

٥- انتشار مفاهيم مساواة المرأة بالرجل، ودعاوى النسوية المخالفة للفهم الإسلامي الصحيح، الذي جعل لكل من المرأة والرجل دورا خاصا في الحياة.

٦- انتشار المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، نتيجة الغزو الفكري الثقافي الذي اجتاح الشعوب الإسلامية مع جثوم الاستعمار على صدور الشعوب.

المشاعر والعواطف

١- انتشار مشاعر الحقد الطبقي، في المجتمع.

٢- مفاهيم العصبية الوطنية والقومية وتقديمهما على الإخوة الإسلامية.

٣- الحب والولاء للقوميات والأوطان (التي قسمها الاستعمار) إلى درجة العبادة . في مقابل ضعف الولاء للإسلام وأهله.

٤- معادة الدين والمتدينين، وموالاة أعداء الإسلام، أو التسوية بين المسلمين وغير المسلمين في المعاملة، وقد يُقدَّم غير المسلمين.

الأخلاق والفضائل

١- خفوت أخلاق المؤمنين، وبروز أخلاق الفجار.

٢- موت أخلاق القوة، ونمو أخلاق الضعف.

٣- القسوة على الضعفاء، والخضوع للأقوياء.

٤- التواكل والعجز والسلبية، وإلقاء اللوم على القدر.

٥- تكريم الفاسقين، وعدم احترام الصالحين. وتقديم أهل الفجور، وتأخير أهل التقوى.

٦- محاباة المبطل القوي، وسحق أصحاب الحقوق الضعفاء.

٧- عدم توقير الكبير، وعدم رحمة الصغير، وعدم احترام العلماء وذوي الفضل.

٨- تشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال.

٩- شيوع الفاحشة، وفقدان الرجال غيرتهم، والنساء حياءهم.

١٠- انتشار ظاهرة الرياء والنفاق الاجتماعي، وأخلاق المنافقين من الكذب، وخلف الوعد، والغدر مع العهد، والفجور في الخصومة، وخيانة الأمانة.

١١- إهمال الآباء لأبنائهم، وعقوق الأبناء لآبائهم.

١٢- انتشار الغش، والتدليس في شتى مجالات الحياة. ومن أخطر ذلك: الغش الجماعي في الامتحانات.

الآداب والتقاليد

١- الانسلاخ من العادات والتقاليد والآداب الإسلامية، وتقبل التقاليد الدخيلة، والآداب الغريبة.

٢- خلوة النساء بالرجال بلا محرم.

٣- الاختلاط الفاجر بين الجنسين في المدارس، والجامعات، والمعسكرات، والرحلات، والمواصلات.

٤- ترك المؤسسات المشبوهة الصحفية، والسينمائية، والإعلامية، تخرب كيان الأمة، بما تذيعه على شبابها وفتياتها.

القوانين

انحسار العمل بالشريعة الإسلامية، والقوانين المستمدة منها، واقتصارها على قوانين الأحوال الشخصية، في مصر[١]. ومثلها كل أو الغالبية الساحقة من الدول الإسلامية.

القيم الإنسانية

١- رغم إن العمل عبادة وقُربة، إلا أن قيمة العمل تضاءلت في حياة المسلمين، حتى أصبحوا عالة على غيرهم، لا يكفون أنفسهم حتى من متطلبات قوتهم اليومي.

٢- ضاق مفهوم الحرية في حياة المسلمين، وأصبحت بلادهم مرتعا لكل مستبد ظالم.

---

[١] - واصل، نصر فريد. السلطة القضائية ونظام القضاء في الإسلام، ط: المكتبة التوفيقية، ص: ٧٥:٨٧.

٣- نسى المسلمون قيمة الشورى والمشاورة في حياتهم كأفراد، ومجتمعات، ودول، بل حتى في أسرهم. فلم يعد لهذه القيمة مجال في حياتهم.

٤- ضاع مفهوم الإخاء أو الأخوة الإسلامية، بل حتى الإنسانية، في خضم التكالب على الدنيا ونسيان الآخرة. فضاعت معها المحبة، والمودة، والتناصر، والتعاضد، والتراحم، والتكافل المادي والأدبي، والوحدة، بين الناس، سواء في المجتمع الواحد، أو بين المجتمعات الإسلامية.

الاقتصاد

١- تاه المسلمون بين نظريات ومذاهب شرقية وغربية، بعيدة عن مفاهيم المال والاقتصاد التي أقرها الإسلام الحنيف.

٢- تعامل المسلمون بالربا، فيما بينهم، وفي التعامل مع البنوك، وغيرها من المؤسسات التي تعتمد نظام الربا (الفوائد) كنظام أساسي لها.

٣- نسي المسلمون أنهم مستخلفون في مال الله ﷻ الذي آتاهم، فمنعوا زكاة أموالهم، وأهملوا حق الفقير.

٤- أصبح الكسل والخمول، والهروب من الحيوية والنشاط أصلا من أصول المجتمعات الإسلامية في سعيها المالي والاقتصادي.

٥- أصبح التعامل في المواد المحرمة شأنا طبيعيا في المجتمع، فتجد محلات الدخان، والبيرة، والخمور، والمشروبات المحرمة، بل أصبحت المخدرات سلعة من السلع ذات الطلب الكبير في المجتمع.

٦- لم تعد الأمة مكتفية ذاتيا، فذلت لغيرها، وأصبحت تابعة، بعد أن كانت متبوعة. أضف إلى ذلك سوء استخدام الموارد البشرية والمالية والمادية، والثروة المعدنية.

٧- رغم كل ما سبق تجد الإسراف هو السمة الغالبة في التصرفات المالية للأفراد والحكومات.

٨- انتشرت المعاملات الاقتصادية المحرمة، كالغش، والتدليس، والاحتكار.

اللهو والفنون

١- أصبح اللهو غاية في حد ذاته، بدلا من أن يكون وسيلة للترفيه، فنجد الاهتمام الزائد بمباريات كرة القدم مثلا، ولاعبيها، ومدربيها، وتركيز الإعلام عليها، حتى أصبحت هدفا في حد ذاتها، واضاعت المال الكثير الذي كان من الأولى صرفه إلى التنمية، وإلى مساعدة الفقراء والمساكين غير القادرين.

٢- الجمال والحسن الذي أودعه الله ﷻ في الكون وفي كل ما خلق، وشرع للإنسان الاستمتاع به بالحلال، حرم البعض الاستمتاع بها، وأفرط أخرون في الاستمتاع بكل حلال وحرام، بلا وازع ولا رادع.

٣- أصبح الفحش والابتذال والفسق والفجور هو السمة المعتادة في كل أنواع الفنون والآداب، وأصبح الحياء والفن الراقي والأدب الرفيع، من الأمور المستنكرة في المجتمع.

النتائج

١- "إن الإسلام حقيقة ضخمة لا بد أن يتملاها من يريد الوصول إلى حقيقة وعد الله ﷻ في تلك الآيات. ولا بد أن يبحث عن مصداقها في تاريخ الحياة البشرية، وهو يدرك شروطها على حقيقتها، قبل أن يتشكك فيها أو يرتاب، أو يستبطئ وقوعها في حالة من الحالات. فالحقيقة التي لا مراء فيها: إنه ما من مرة سارت مجتمعات الأمة الإسلامية على منهج الله ﷻ، وحَكَّمَته في حياتها، وارتضت العمل به وتطبيقه في كل أمورها.. إلا تحقق لها وعد الله ﷻ بالاستخلاف والتمكين والأمن. وما من مرة خالفت عن هذه النهج إلا تخلفت في ذيل القافلة، وذلت، وطُرِد دينها من الهيمنة على البشرية، واستبد بها الخوف، وتخطفها الأعداء[١].

٢- ولقد تحقق وعد الله ﷻ في عهد النبي ﷺ، وظل متحققا وواقعا بعده ﷺ، ما دام قد تحقق في المسلمين سبب الإيمان والعمل الطالح، وما داموا على شرط الله: ﴿**يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾. ووعد الله ﷻ مذخور لكل مجتمع مسلم، يؤمن ويعمل صالحا، ويقوم على الشرط، إلى يوم القيامة. إنما يبطئ النصر والاستخلاف والتمكين والأمن: لتخلف شرط الله ﷻ في جانب من جوانبه الفسيحة، أو في تكليف من تكاليفه الضخمة. حتى إذا انتفعت الأمة بالبلاء الذي يصيبها، فعرفت أن البلاء سببه التقصير في الأسباب والشروط وانتفاء الموانع، ثم بدأت تستيقظ، وخافت فطلبت الأمن، وذلت فطلبت العزة، وتخلفت فطلبت الاستخلاف. كل ذلك بوسائله التي أرادها الله ﷻ،

---

[١] – قطب، سيد. في ظلال القرآن. ط: دار الشروق، ٢٥٣٠/٤.

وبشروطه التي قررها الله ﷻ.... تحقق لها وعد الله ﷻ الذي لا يتخلف، ولا تقف في طريقه قوة من قوى الأرض جميعا" [1].

٣- إذا أوجدت المجتمعات المسلمة في نفسها الإيمان والعمل الصالح – على الأقل بالحد الأدنى المقبول، فقد أصبحت موعودة بوعد الله ﷻ، فإذا حققت شرط ﴿**يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾، وانتفت الموانع التي تمنع من تحقيق وعد الله ﷻ للأمة، وجب عليها أن تنتظر أن يحقق الله ﷻ لها وعده، إلا أن هذا الوعد قد يتأخر لأمور قدرية، منها:

أ- لا يجوز للمسلمين أن يعينوا ميعادا محددا لنصرهم، ولا صوره معينة، ولا شكل معين، وحسبهم أن يثقوا كل الثقة في وعد الله ﷻ [2].

ب- دفاع الأمة عن نفسها يوقظها، ويجعلها تحشد كل قواها، وتوفر كل استعداداتها، وتجمع كل طاقاتها، فتنمو وتنضح، وتتهيأ لحمل الأمانة الضخمة والقيام عليها [3].

فيكون هذا الإمهال:

– حتى تبذل الأمة كل ما في طوقها من قوة، وآخر ما تملكه من رصيد، فلا تستبقي عزيزا ولا غاليا، إلا وقد بذلته رخيصا في سبيل الله ﷻ [4] .

– وحتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن تلك القوى وحدها لا تكفل النصر، وإنما يتنزل من عند الله ﷻ بعد بذل ما في الوسع، ثم التوكل عليه ﷻ [5].

---

[1] - في ظلال القرآن، ٢٥٢٩/٤، ٢٥٣٠.
[2] - السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ص ١٨١.
[3] - في ظلال القرآن، ٢٤٢٥/٤.
[4] – المرجع السابق، ٢٤٢٦/٤.
[5] – المرجع السابق، ٢٤٢٦/٤.

– النصر السهل، فقدانه وضياعه أيضا سهل؛ لأنه رخيص الثمن؛ ولأن الذين نالوه لم يدربوا قواهم على الاحتفاظ به، فالطاقات التي لم تحشد لكسب النصر، لن تتحفز وتحتشد للدفاع عنه [1]. فيأتي الإبطاء لإعطاء الأمة الوقت لاستكمال نضوج بنيتها، وإعطائها الوقت لحشد كل طاقاتها، والتعرف على أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات، فلو نالت النصر قبل ذلك لفقدته سريعا لعدم قدرتها على حمايته طويلا[2] .

– التربية الوجدانية، والتدريب العملي الذي ينشأ من الكر والفر، ومن النصر والهزيمة، والقوة والضعف، والتقدم والتقهقر، ومن المشاعر المصاحبة له، ضروري للأمة التي تحمل الدعوة وتقوم عليها وعلى الناس[3].

وقد تكون الأمة في حاجة إلى زيادة صلتها بالله ﷻ، ولا يحدث ذلك إلا وهي تعاني وتتألم وتبذل، وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عندما يتأذن به الله ﷻ، فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به الله ﷻ[4] .

وقد تكون الأمة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ﷻ ولدعوته، فقد تكون تقاتل لمغنم، أو حمية لذاتها، أو شجاعة أمام أعدائها، والله ﷻ يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله[5].

---

[2] - في ظلال القرآن، ٢٤٢٦/٤.
[3] - المرجع السابق، ٢٤٢٦/٤.
[4] - المرجع السابق، ٢٤٢٦/٤.
[5] - المرجع السابق، ٢٤٢٧/٤.
[5] - المرجع السابق، ٢٤٢٧/٤.

– قد يكون في الباطل الذي تحاربه، بقية من خير، ويريد الله ﷻ لها أن تتمحص من الشر[1]، أو لم ينكشف زيفه للناس تماما، فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصارا من المخدوعين فيه، لم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله، فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تتكشف لهم الحقيقة[2].

أو تكون البيئة نفسها لم تتهيأ بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة، فلو انتصرت حينئذ لقيت معارضة من البيئة لا يستقر لها معها قرار، ويظل الصراع قائما [3] .

٤– لا يخفى أن المجتمعات المسلمة اليوم أصبح الفسق والفجور والفساد هي السمات الغالبة عليها. مما أفقدها السبب الموجب لوعد الله ﷻ – بالاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين، والأمن من بعد الخوف، إليها، فلم تعد موعودة بهذا الوعد، حتى ينصلح حالها، أو ينشأ جيل جديد يسترجع ما فقده غيره من الأجيال من أسباب توجب استحقاقه وعد الله ﷻ.

٥– رغم أن فقدان السبب يعتبر كافيا، إلا أن المجتمعات المسلمة أيضا قد فقدت التحقق بشرط الله ﷻ من الفهم السليم للعقيدة الإسلامية النقية، ومن العبادة الصحيحة، الخالية من البدع والمنكرات والأهواء.

(٢) - في ظلال القرآن، ٢٤٢٧/٤.
(٣) – المرجع السابق، ٢٤٢٧/٤.
(٨) – المرجع السابق، ٢٤٢٧/٤.

٦- لا يستدعي الأمر بعد فقدان السبب والشرط، أن نخوض في الحديث عن موانع الوعد الإلهي، فقد أصبحت هي الأساس في حياة المجتمعات المسلمة.

فهل نظن أن الأمة التي انتشر فيها الفساد، والظلم، والموبقات، وأكل الحرام، والزنا، والفجور، والربا، وأصبحت فيها دعوات الإباحية، والإلحاد، والمثلية، أمرا طبيعيا، بل ويحارب فيها الدين والمتدين، علنا، وبعد أن أهمل الناس الصلاة، والزكاة، وأصبح المعروف منكرا، والمنكر معروفا، وخُون الأمين وصُدق الخائن، وما خفي أعظم. هل نظن أن الله ﷻ بعد ذلك كله يَعِد الأجيال الحالية من الأمة الإسلامية بالاستخلاف (الحكم الإسلامي الرشيد)، وتمكين الدين، والامن؟ بالطبع لا، فقد وعد الله ﷻ الصالحين أن يمكن لهم لصلاحهم، أما غيرهم فلماذا يمكن لهم؟

فالنتيجة التي نصل إليها بعد كل هذا الطرح، أن المجتمعات المسلمة، وأجيالها الحالية، ليست مشمولة بوعد الله ﷻ للمؤمنين الذين يعملون الصالحات: بالاستخلاف في الأرض، وتمكين الدين في القلوب وواقع الحياة، والأمن الشامل، حتى ينصلح حالها وتعود إلى ربها، أو يقوم المصلحون بدورهم في تربية وإعداد أجيال جديدة، تتوفر لها أسباب هذا الوعد، وتتحقق فيها شروطه، وتنتفي عنها موانعه. وقبل ذلك ليس لها أن تستبطئ نصر الله ﷻ أو التمكين.... ليس لها أن تظن بالله ﷻ الظنون.

التوصيات

١- اجعل لنفسك رؤية واضحة لما ترغب أن تكون عليه بالنسبة لخدمة الإسلام.

٢- حدد أهدافك على أساس هذه الرؤية.

٣- ضع البرامج العلمية والعملية المناسبة لظروفك، لتحقيق هذه الأهداف.

٤- نوصي بأن يكون جزء من تلك البرامج: تدارس الكتيبات والكتب التالية، مع الأهل، والجيران، والأقارب، والأصدقاء. أو على وسائل التواصل الاجتماعي، أو عمل مجموعات ما بين ثلاثة وخمسة أفراد، والتركيز على واجبات عملية، ترسخ المفاهيم. ودعوتهم ليقوموا بمثل هذ العمل مع أقاربهم وجيرانهم وأصدقائهم:

١- وجود الله	د. يوسف القرضاوي
٢- حقيقة التوحيد	د. يوسف القرضاوي
٣- فقه الأسماء الحسنى	د. عبد الرزاق البدر
٤- العبادة في الإسلام	د. يوسف القرضاوي
٥- ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده	د. يوسف القرضاوي
٦- عقيدة المسلم	الشيخ محمد الغزالي
٧- خلق المسلم	الشيخ محمد الغزالي

كتب للمؤلف

- نور الوعد الإلهي ١- لزوم الفروض الكفائية ومسؤولية الأفراد والمجتمع المدني.

- نور الوعد الإلهي ٢- مقدمات فقه التمكين.

- نور الوعد الإلهي ٣- فقه التمكين بآفاق وأبعاد جديدة.

- سلسلة جيل الوعد الإلهي المنشود:

١- متى يتحقق وعد الله للأمة الإسلامية (هذا الكتيب)

فهرس

بين يدي هذه السلسلة

فقدت الأمة الإسلامية مكانتها وريادتها بين الأمم، وأصبحت في حاجة إلى من يجدد لها أمر دينها، وينهض بدنياها، ويوحدها، ويردها كما كانت خير أمة أخرجت للناس.

إن الأمل لا يزال قائما في تغيير حال الأجيال الحالية من الأمة، بشرط أن يقوم المصلحون بواجبهم نحوها، ويتحدوا، ويعيدوا تشكيل وترتيب عقل الأمة من جديد، فهؤلاء من تنتظرهم الأمة لإصلاح هذا الجيل أو بناء جيل آخر جديد، تعود الأمة به إلى دورها المنوط بها، بالشهادة على الأمم بحضارة إسلامية حديثة، أساسها التوحيد، وغايتها إرضاء ربها الواحد الأحد.